مداخة بعنوان: دراسة أسلوبية لقصيدة "الذبيح الصاعد"لمفدي زكريا

االباحث : الطاهر بوفنش

جامعة عنابة /الجزائر

الملخص:

تعتبر القصيدة الثورية إحدى أهم الوسائل المهمة للتواصل مع الشعب والتعبير عن بطولاته، أو لمحاربة الاستعمار وأذنابه والكشف عن جرائمه، وما قصيدة " الذبيح الصاعد" لمفدي زكريا إلاّ دليل على ذلك وفي هذه المداخلة سنقوم بتحليل هذه القصيدة وفق المنهج الأسلوبي؛ نكشف من خلاله الجانب الموضوعاتي وما يحمله من دلالات ومعاني والجانب الشكلي؛ وهذا عبر المستوى الصوتي والمستوى التركيبي والمستوى المعجمي والدلالي، فإلى أيّ مدى عبرت قصيدة الذبيح الصاعد عن الشعر المقاوم؟ ما هي أبز الخصائص الأسلوبية في هذه القصيدة؟ وهل يمكن اعتبار قصيدة الذبيح الصاعد نموذجا للبنية الأسلوبية في الشعر الحديث؟

Résumé:

Est ce que le poème révolutionnaire l'un des moyens les plus importants de la communication avec le peuple et l'expression d'héroïque, ou pour lutter contre le colonialisme et leurs laquais et la divulgation de ses crimes, et le poème «l'ascension de l'abattu» à Moufdi Zakaria seule preuve de ce que dans cette présentation, nous allons analyser ce poème d une façon stylistique a travers cette analyse on révèle le côté thématique et ce qui de sens et de significations , et à travers ce niveau auditif et le niveau de niveau structurel et lexicale et significatif.Dans quelle mesure le poème de "l'ascension de l'abattu" reflète la poésie de la résistance? Quelles sont les principaux styles qui caractérisent ce poème? Peut-on considérer le poème de l'ascension de l'abattu comme un modèle de la structure stylistique du poème modem?

مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية نظم هذه القصيدة " بسجن بربروس في القاعة التاريخية في المزيع الثاني من الليل أثناء تنفيد حكم الإعدام على أوّل شهيد دشّن المقصلة المرحوم أحمد زبانا وذلك ليلة 1956/06/18".[1]

يعتبر العنوان إحدى المفاتيح الأساسية التي ينبغي للباحث أن يملكها كي يستطيع الولوج إلى عالم النّص فالعنوان قد يكون عاملا مثيرا واستفزازيا لا ينحصر بكونه بوابة للدخول إلى النّص فحسب يولّد عند القارئ حبّ الاطلاع والغوص في أعماق النّص وتكمن أهميته بشكل عام " بكونه عنصرا من أهم العناصر المكونة للمؤلف الأدبي ومكونا داخليا يشكل قيمة دلالية عند الدارس حيث يمكن اعتباره ممثلا لسلطة النّص وواجهته الإعلامية التي تمارس على المتلقي"[2] ومنه نحاول الاقتراب من قصيدة لمفدي

زكريا بعنوان " الذبيح الصاعد" هذا العنوان الذي يحمل في طياته العديد من الرموز والدلالات التي تغنّت بها الثورة الجزائرية، وعن التضحيات الجسام التي قام بها أبناؤها وهذا ما توضحه بشكل جلي القصيدة فالعنوان عبارة عن جملة اسمية تدل على الثبات وهذا الثبات ينعكس على القصيدة؛ "فأحمد زبانا" وهو يساق إلى المقصلة ثابت في مواقفه مؤمن بمشيئة الله وقدره المحتوم.

وإذا نظرنا إلى العنوان من الناحية الإعرابية نجد: الذبيح، خبر مرفوع لمبتدأ محذوف تقديره زبانا، والصاعد نعتا يصف فيه الشاعر حالة هذا البطل وهو يقاد إلى المقصلة، وقد وردت في القصيدة بعض الألفاظ الدالة على العنوان فالذبيح نجد (مذبح، اشنقوني...) والصاعد (الصعود، تسامى، تعالى...)

ويأخذ العنوان عدة وظائف نجملها فيما يأتي: "وظيفة تعبيرية بلاغية" يعبر فيها الشاعر عن بطولات الشهيد زبانا؛ أين تعالى وتسامى في السماء، ولكنّه مازال حيّا على عكس ما يدعيه الاحتلال الفرنسي بأنّه مات فالله عزّ وجلّ ينفي صفة الموت عن الشهداء لقوله:" ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يُرزقون"[3] فالذين جاهدوا من أجل ربهم يعيشون حياة برزخية في جواره يجري عليهم رزقهم في الجنة وينعمون. ويظهر ذلك في قوله:

لفّه جبريل تحت جناحيـ ـــه إلى المنتهى رضيـــا شهـــــــــيدا

. ... يا زبانا أبلغ رفاقك عنّا في السماوات قد حفظنا العهودا

وارو عن ثورة الجزائر للأف لاك والكائنـــات ذكـــرا مجيـــــــدا[4]

فالشاعر يدعو زبانا إلى إخبار الشهداء الصاعد إليهم، أنّ الشعب باقٍ على العهد فهو لن يستسلم أو يخون وهو ماضٍ في دربه حتى النهاية ويصير إلى ما صاروا إليه، كذلك يأخذ العنوان وظيفة انتباهية تأثيرية، يبعث في دهن القارئ شعورا يجعله شغوفا بمعرفة خباياه وأسراره الموجودة في القصيدة، وبهذا فالعنوان هنا يتميز بالإيجاز حيث حمل العديد من المعاني والدلالات على الرغم من ألفاظه القليلة.

وفيما يأتي سندرس القصيدة من ثلاثة مستويات(المستوى الصوتي، المستوى التركيبي، المستوى الدلالي)

1- المستوى الصوتي:niveau auditif

إنّ البنية الصوتية والإيقاعية هي أول المظاهر المادية والحسية للنسيج الشعري التي يمكن من خلالها التعرف على الوحدات الصوتية وما فيها من توازيات وتنافرات فلكل شعر إيقاعه الخاص به وذلك حتى يتصيد القارئ ويأسره داخل القالب الفني والجمالي ويلاحظ في هذه القصيدة أنّ هناك أصوات تشكل عناصر مهيمنة على النّص تضع إيقاعه ومن بين هذه الأصوات نجد **اللام** الذي تكرر274 مرة وصوت **الميم** الذي تكرر 136مرة **والواو** الذي تكرر عمّا يزيد 120 مرة، وهذه الحروف كلّها انفجارية مجهورة فالشاعر بصدد الجهر عن البطل زبانا وهو يقاد إلى المقصلة، حيث قدّم لنا صورة عن لحظات الشجاعة والسرور البادية، ليبيّن أنّ الاستشهاد شيء إيجابي للثورة وهو بمثابة قربان ثمين في سبيل الله والوطن، ولكن هذا لا يمنع من وجود أصوات وحروف مهموسة هي الأخرى هيمنت على النّص وهذه الحروف هي: حرف **السين** الذي تكرر 60 مرة وحرف **الحاء** الذي تكرر ما يزيد عن 50 حرفا وحرف **التاء** الذي تكرر ما يقارب 100مرة، وعليه يمكن القول: إنّ النّص مزيج بين الأصوات المهجورة والمهموسة وإن كانت الأولى طاغية على الثانية.

وإذا انتقلنا إلى **اللغة**؛ نجدها تحمل في طياتها أبعادا نفسية ودلالية، تلبس في كثيرا من الأحيان لباس الفروسية تعبر عن أمجاد الثورة وبطولات أمجادها " فاللغة بمفهومها العام وسيلة أساسية للتعبير والتخاطب سواء كانت شعرية أم نثرية ولا بدّ للغة من توافر خصائص هامة منها شحنات عاطفية وفكرية، كما يجب أن تكون موحية بالواقع وذات تأثير وقدرة على تطوير الحدث والتعبير عن طبيعة الشخصية[5] وهي ما عبرت عنه شخصية الشاعر من اعتزاز وافتخار بتضحيات الشهداء، يقول مفدي زكريا في هذا المعنى:

واندفعنا مثل الكواسر نرتا د المنايا ونلتقي البارودا

من جبال رهيبة شامخات قد رفعنا على ذراها البنودا[6]

في المقابل عبرت عن الممارسات الوحشية التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي ضد أبناء الشعب الجزائري، فسرد لنا الواقع المعاش أين ينعم الآخر (الغريب عن الوطن) بخيرات الوطن، بينما الأنا (صاحب الوطن) محروم منها بل معذّب ومهمّش، يقول في هذا الصدد:

أمن العدل صاحب الأرض يشقى ودخيل يعيش بها سعيدا؟!

أمن العدل صاحب الدار يعرى وغريب يحتل قصرا مشيدا؟![7]

أمّا الإيقاع فهو الآخر كان حافلا بدلالات ورموز أضفت على القصيدة جمالا ورونقا، وإذا بدأنا **بالإيقاع الخارجي** فسنرى أنّ مفدي زكريا بقي محافظا على النظام الخليلي والبناء العمودي للقصيدة ذات الشطرين، كما اعتمد على **بحر الخفيف** طيلة أبيات القصيدة وهذا "لخفته وهذه الخفة متأتية من كثرة الأسباب الخفيفة والأسباب أخّف من الأوتاد"[8] وهو ما نلاحظه من خلال البيت الأوّل الذي سندرسه دراسة عروضية حيث يقول الشاعر:

قَـــامَ يختـــالُ كالمسيحِ وئيد يتهـــادى نشـــــوان يتلـــو النّشيدا[9]

قَامَ يَخْتَا لُكَلْمَسِي حِوَئِيْدَا يتهـادى نَشْـــوَانُيَتْ لُـــــنْنَشِيْدَا

0/0//0/ 0/ /0/0/ 0/0/// 0/0/// 0//0// 0/0//0/

فاعِلاتُنْ- متَفْعِلُنْ- فَعِلاتُنْ فَعِلاتُنْ- مُستَفْعِلُنْ- فاعِلاتُنْ

وقد دخلت على القصيدة عدة زحافات وعلل وهذه التغيرات سببها تفاعل الشاعر مع مختلف التطورات التي يصفها ويسردها فضلا عن الحالة النفسية للشاعر، والملاحظ أنّ الشاعر قد اعتمد على أحد البحور المركبة المتكونة من تفعيلتين الأولى: "فاعلاتن" وتتكون من "سبب خفيف وتد مجموع وسبب خفيف" والتفعيلة الثانية: "مُسْتَفْعِلُنْ" وتتكون من "سببين خفيفين ووتد مجموع"، أمّا **حرف الرّوي** المتكرر طيلة أبيات القصيدة هو حرف **الدال** وهو أحد الحرف المهجورة، كما اعتمد على **القافية** المقيدة (شِيْدَا) وهو ما نلحظه في التجانس الصوتي التي وردت على وزن واحد (نشيدا، جديدا، خلودا...) وهذا التجانس يصبغ النّص بصبغة فنية، هذا فيما يخص الإيقاع الخارجي أمّا **الإيقاع الداخلي** فيتمظهر في **التكرار** والمحسنات البديعية، والتكرار رافد أساسي يعتمد عليه العديد من الشعراء وهذا لما يحمله من طاقة كبيرة تحدث أثرا واضحا في المتلقي كما تساعده على الاقتناع بالفكرة أو الهدف الذي يريد الشاعر إيصاله، وهذا ما اعتمد عليه الشاعر مفدي زكريا حينما كرر بعض المفردات كزبانا وفرنسا فالشاعر من خلال هذا التكرار أراد أن يبيّن علاقة الصراع التي تربط بين موقفين متناقضين؛ الموقف الأول يشمل البطل الذي يتميز بالصبر والإيمان بالقضاء والقدر والشجاعة، فهو على يقين أنّ ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلّا بالقوة وبين الموقف الثاني وهو الاستعمار الذي قام باحتلال أرض غير أرضه، فعاث فيها خرابا ودمارا فشرّد أهلها ويتّم

أطفالها ونهب خيراتها، وقد أراد الشاعر من هذا التكرار إبلاغ الفكرة للقارئ والمتلقي بحقيقة هذا الصراع، كما حاول ترسيخ هذا الرأي وهذه الفكرة في دهنه، ومن المفردات كذلك التي كررها الشاعر: السماء، ثورة، العدل، الموت... وهي مفردات تخدم المعنى العام للقصيدة، ومن بين الخصائص الفنية كذلك التي اعتمد عليها الشاعر: **المحسنات البديعية**؛ لما لها من تأثير قوي سواء على المستوى الفني حيث تزيده جمالا وبهاء وصورة أعمق أو على المتلقي حيث تكسب القصيدة نغمة موسيقية تأسر به قلبه ودهنه ومن بين هذه المحسنات البديعية نجد **التصريع** كما جاء في البيت الأوّل (وئيدا، نشيدا) **وطباق الإيجاب** في قوله: أنا إن **متُ** فالجزائر **تحيا، والمقابلة في قوله:**

أمن العدل صاحب الدّار يشقى ودخيل بها يعيش سعيدا[10]

والجناس في قوله: **واقض يا موت فيّ ما أنت قاض أنا راضٍ إن عاش قومي سعيدا**[11]

والملاحظ أنّ هذه المحسنات البديعية ساهمت في صنع إيقاع النّص الداخلي كما ساعدت على تقوية دلالته.

2- المستوى التركيبي: niveau structurel

يتراوح النّص بين الثبات والحركة، الأوّل يظهر في الجمل الاسمية المختلفة سواء كانت عادية (نحن ثورة، إذا الشعب داهمته الرزايا...) أو ما تعلق بتقنية التقديم والتأخير(من جبال رهيبة، من كهولها يقودها الموت، من دماء زكية...) أمّا الثاني فيظهر في الجمل الفعلية (قام يختال، امتطى مذبح البطولة، امتثل سافرا...) وهذا يعني أنّ النّص يتراوح بين الثبات والحركة وإن كان الثاني هو الطاغي، فالحركة في النّص داخلية وخارجية؛ خارجية تبيّن حالة الشعب والثوار في التصدي للاستعمار، وداخلية تكمن في نفسية الشاعر مفدي زكريا الممزوجة بالافتخار والأمل بالنّصر على الرغم من وجوده في السجن والأسر وقد ربط الشاعر بين هذه الجمل بجملة من الروابط المنطقية **كحروف العطف** (وتسامى، **وتعالى أو** ننال استقلالنا...) **حروف الجر** (رافلا **في** خلاخل، **إلى** المنتهى، **من** الخوارق...)، **أدوات التوكيد** (أنا إنْ متُ، قد حفظنا...) **والظروف** (**تحت** جناحيه، فلات **حين** رجوع...)، **التكرار**(زبانا فرنسا، ثورة...) **الضمائر التي تنوعت دلالاتها** وقد هيمنت بعضها على النّص **كضمائر المتكلم** نحن (الشعب، الثوار: نحن ثرنا...) أنا (زبانا: أنا راض...) **وضمائر الغائب** هو (زبانا: قام يختال، تسامى...) وهي (فرنسا: احشري، اجعلي، اربطي...) وقد كان دورها بارزا خاصة من ناحية الدلالة وهذا بإحالاتها القبلية والبعدية فضلا عن تفادي التكرار، زيادة على ذلك نجد **التضاد** في قوله (الأرض≠السماء مت≠تحيا) وقد ساهمت هذه القرائن بشكل عام في تحقيق الاتساق والانسجام فضلا عن الربط بين أجزاء القصيدة. إضافة إلى ذلك، نوّع الشاعر بين **الأفعال الماضية**(قام، امتطى، زعموا، شاركت...) وهذا ليسرد لنا وقائع إعدام زبانا والصراع القائم مع المستعمر، **والأفعال المضارعة**(تسامى، تعالى، يتلو، يستقبل...) والتي جاءت في غالبها لتصف لنا اعتزاز الشاعر بالشهيد زبانا وشجاعته، **وأفعال الأمر**(احشري، اجعلي، اربطي...) ووردت في مجملها نبرة خطاب وتحدي لفرنسا، والملاحظ أنّ الجمل الفعلية هي الجملة الغالبة وهو ما يتناسب مع النمط السردي للوصف، فضلا عن غلبة الجمل الخبرية على الإنشائية، علاوة على ذلك عدّد مفدي زكريا بين أسماء المعرفة(المسيح، الكليم، الروح، النشيدا...) وأسماء النكرة(شامخا، رافلا، حالما...) وإن كانت الأولى طاغية بكثرة في النّص؛ فالمصير الذي ينتظر زبانا وفرنسا معروف ومعلوم، غير أنّ المفارقة تكمن في أنّ الأوّل نال رضا الله واستشهد في سبيله بينما الثاني هو الخسران في الدّنيا والآخرة.

3- والمستوى المعجمي والدلالي: niveau significatif et lexicale

طغى على النّص بعض الحقول المعجمية حيث؛ شكّلت موضوعه العام ومن بين هذه الحقول نذكر:

- **البطولات والتضحيات:** جهاد، كواسر، جيوش، رشاش، ثرنا، دماء، جماجم...
- **التعذيب:** الجرح، يشقى،يجوع، الظلم، اشنقوني، الطغاة...
- **الحرية:** الصباح الجديد، النصر، الاستقلال...
- **الطبيعة:** ليلة، السماء، الأفلاك، الهلال...
- **الدين:** المسيح، آدم، حواء، صلوات، المؤذن...
- **التفاؤل والسلام:** سلاما، الطفل، نشوان، زغرد، باسم...

وقد ساهمت هذه المعاجم الفنية في تشكيل البنية الدلالية التي كان الشاعر يعبر فيها عن الصراع القائم بين الحق والباطل، بين المُسْتَعْمِرِ والمُسْتَعْمَرْ، وتميزت كذلك بالتكثيف والتنوع؛ أمّا العلاقة التي تربط بين هذه المعاجم هي: **علاقة تكامل،** ففرنسا قامت باحتلال الجزائر ونهب خيراتها (التعذيب) فتصدى لها الشعب بالنّفس والنّفيس، وقام بثورة تحمل معاني وقيم متعددة(البطولات) وهذا من الحفاظ على الهوية الوطنية(الدين) وتحقيق الاستقلال(الحرية)

الصورة الشعرية: l'image poétique

تتجلى الصورة الشعرية عند مفدي زكريا في قصيدته بعدة تشكيلات أهمها الصورة البيانية (كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية) والرمز بمختلف دلالاته، أمّا **التشبيه؛** فسنذكر بعض النماذج ومنها ما جاء في البيت الأوّل: "قام **يختال كالمسيح وئيدا"** حيث شبّه الشاعر أحمد زبانا وهو يتقدم إلى المقصلة بالمسيح في الشموخ وهذا ليضفي عليه طابع القداسة، ويواصل مفدي زكريا وصف الشهيد أحمد زبانا وهذه المرّة شبهه بالملاك أو الطفل الشامخ والرافع لرأسه حتى يستقبل الغد الجديد، أمّا **الاستعارات** فهي الأخرى حافلة في النّص نذكر منها قوله:

صرخة ترجف العوالم منها ونداء مضى يهز الوجودا[12]

فلفظة الاستعارة تظهر في قوله ترجف العوالم ويهز الوجودا، حيث شبّه العالم والوجود بالإنسان الذي يرجف ويهز، ذكر المشبه (العوالم، الوجود) وحذف المشبه به الإنسان وأبقى على صفة من صفاته "ترجف" و"يهز" على سبيل الاستعارة المكنية، ومن بين الاستعارات كذلك يقول:

سكت الناطقون وانطلق الرشاش يلقي إليك قولا مفيدا[13]

ففي هذا البيت تظهر لفظة الاستعارة في قوله:يلقي إليك قولا مفيدا؛ فقد شبّه الرشاش بالإنسان الذي يقول القول المفيد، ذكر المشبه وهو الرشاش وحذف المشبه به الإنسان وأبقى على لازمة من لوازمه يقول على سبيل الاستعارة المكنية، كما يوجد **مجاز مرسل** في قول مفدي زكريا: (أنا إن متُ فالجزائر تحيا) فلفظة المجاز تظهر في عبارة الجزائر تحيا، فالشاعر أراد من قوله أهل الجزائر(الشعب) فذكر المكان وأراد به أهل المكان في إطار العلاقة المحلية.

الرمز: symbole يشمل الرمز كل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما من علاقات دلالية معقدة بين الأشياء بعضها ببعض، وهو تعبير عمّا هو مجرد من خلال تصويرات حسية مرئية كحروف الكتابة أو اللوحات الفنية"[14] وقد ركز مفدي زكريا على بعض الرموز خاصة الدينية والتاريخية منها، ومن بين هذه الرموز نذكر:

المسيح: يقصد به النبي عيسى عليه السلام،وقد أسقط الشاعر هذه الشخصية على زبانة لاشتراكهما في كثير من المواقف؛ فزبانا قاده الاستعمار إلى المقصلة ظنّا منه أنّه سيلقي

حتفه ويموت ولكن هيهات فخلف زبانا الملايين الذين ينتظرون الاستشهاد في سبيل الوطن، فالشهيد عند ربّه والأمر نفسه بالنسبة للمسيح عليه السلام حينما ظنّ اليهود أنّه ولكنّهم لم يصلبوه بل شبّه لهم، فعيسى عليه السلام رفعه الله إليه ويظهر ذلك في قوله:" وقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عيسى ابن مريمَ رَسولَ اللهِ وما قتلوه وما صَلَبوهُ ولكن شُبِّهَ لَهُمْ"[15]- النساء 157- ولهذا يشبه الشاعر شخصية زبانا بشخصية المسيح، حتى بلغ به مرتبة النبي؛ فزبانا لا يقل عند الشاعر عظمة وتقديسا من النبي عيسى عليه السلام وهو ما يثبت قوله:

قام يختال كالمسيح وئيـــــدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا
باسم الثغر كالملائك أو كالط فل يستقبل الصباح الجديدا
شامخـــا أنفـــه جلالا وتيهـــا رافعا رأسه يناجـــي الخلـــودا[16]

وبذلك فالعلاقة القائمة بين زبانا وعيسى عليه السلام هي: علاقة المشابهة والمماثلة، أوّلها في الصلب وثانيها في الهدف؛ فزبانا يدافع عن وطنه من أجل الحرية والاستقلال والتخلص من رجس الاستعمار، أمّا عيسى عليه السلام يكافح من أجل نشر دعوة التسامح والمحبة بين الناس وتخليصهم من الشرك.

حواء: هي رمز الأصالة والتميز والعطاء وقد استخدم الشاعر هذا الرمز ليسقطه على نساء الجزائر الأحرار اللاتي دافعن عن وطنهنّ واشتركن مع الرجال في هذه المهمة، وهذا منذ بداية الثورة التحريرية، وقد استخدم الشاعر هذا الرمز ليبيّن أصالة المرأة الجزائرية ودورها، فهي لم تسلم من التعذيب والتنكيل والاغتصاب، ومع ذلك بقية مقاومة وصامدة، يقول مفدي زكريا:

وصبايـــا مخـــدّرات تـــــبـــارى كاللّبوءات تستفـــــــز الجنـــــودا
شاركـــت في الجهاد آدم حوا ه ومدّت معـــــاصمـــا وزنـــودا
أعملت في الجـــراح أنملـــها اللدن وفي الحرب غصنها الألمودا[17]

وهنا يكشف الشاعر مشاركة المرأة الجزائرية الرجل في حمل السلاح والالتحاق بصفوف جيش التحرير لتضمد وتواسي جرحاهم.

كذلك وظّف الشاعر رمز الرّوح "جبريل عليه السلام"؛ حيث شبّه روح زبانا وهي صاعدة إلى السماء بجبريل عليه السلام وهو يتسامى في ليلة القدر، وهنا أسقط ليلة خروج الروح من زبانا بليلة القدر؛ فالليلة الأولى رمز للانبعاث والليلة الثانية رمز للقداسة.

ولم يكتف الشاعر باستحضار الرموز الدينية بل تعداها إلى استدعاء الرموز التاريخية ومثال ذلك **"صلاح الدين الأيوبي"** الذي قاوم الحروب الصليبية وأقام الوحدة بين مصر والشام، كما كان له الفضل الكبير في استرجاع بيت المقدس، وهذا نتيجة شجاعته وذكائه؛ والشاعر وظّف هذه الشخصية التاريخية العظيمة، ليبيّن أنّ الجزائر ستنجب آلافا من الرجال كصلاح الدين، وهؤلاء الرجال هم من سيرجع الجزائر إلى أهلها ويطردون جميع من دنّسها، كما استرجع صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس وطرد الصليبيين منها، يقول في هذا الصدد مخاطبا فرنسا:

واستشيطي على العروبة غيظا واملئي الشرق والهلال وعيدا
سوف لا يعد الهلال صلاح الد ين فاستصرخي الصليب الحقودا[18]

ومن خلال هذين البيتين أراد الشاعر أن يبيّن لفرنسا أنّ زبانا وصلاح الدين تجمعهما الهوية من لغة ودين وتراث فعقد علاقة بينهما ليوضّح لها أنكِ مهما بلغت من قوة وجبروت فإنّ أهدافك ستسقط وتتحطم على أيدي المجاهدين.

كما استحضر الشاعر شخصية **"هوشي منه"** فهو بطل ورمز للحياة، المخلص والمنقذ والمقاوم للعدو، وهذا نظرا لما قدّمه لشعبه من تحفيز ونشر للوعي من أجل مجابهة فرنسا وطردها من الفيتنام، يقول مفدي زكريا:

عطلي سنّة الإله كما كط لت من قبل هوشمين المريدا
إنّ من يهمل الدروس وينسى ضربات الزمان لن يستفيدا[19]

فالشاعر أراد أن يوجه رسالة لفرنسا ويذكرها بهزيمتها أمام الفيتنام ومع ذلك لم تستفد من هذا الدرس فهي تعيد ذلك أمام الجزائر.

وفي الأخير وعلى ضوء ما سبق نصل إلى النقاط الآتية:

- شكلّ العنوان الإطار العام والبوابة الرئيسية للولوج إلى عالم القصيدة.
- نظم الشاعر هذه القصيدة وهو في السجن يعبر فيها عن عواطفه الممزوجة بالحزن والمعاناة داخل الزنزانة وهو يشهد إعدام زبانا، وحالة السرور والتفاؤل بالنّصر القريب من قبيل أنّ أمثال هؤلاء هم من سيصنعه.
- قصيدة الذبيح الصاعد نموذج من نماذج عظمة الثورة التحريرية الكبرى التي ضحى من أجلها الشعب بالنفس والنفيس لا لشيء سوى لاسترجاع الوطن ونيل الحرية والاستقلال.
- من الناحية الفنية وفّق مفدي زكريا من أن يجعل لنفسه أسلوبا خاصا في نظم هذه القصيدة، سواء تعلّق الأمر بالإيقاع أو التركيب أو المعجم والصورة الشعرية.

الإحالات:

1- المصادر:

أ- القرآن الكريم

ب- مفدي زكريا: اللهب المقدس، د/ط، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 2007.

2- المراجع:

أ- شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدر البيضاء، المغرب، 2005.

ب- فؤاد علي حازم الصالحي: دراسات في المسرح، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999.

ج- محمد بن حسان عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004.

د- محمد وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984.

[1] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، د/ط، منتدى سور الأزبكية، الجزائر، 2007، ص17.

[2] - شعيب حليفي: هوية العلامات في العتبات وبناء التأويل، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص11.

[3] - القرآن الكريم : آل عمران169.

[4] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص18-19.

[5] - فؤاد علي حازم الصالحي : دراسات في المسرح، ط1، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1999، ص101.

[6] - مفدي زكريا : اللهب المقدس، ص19.

[7] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص22.

[8] - محمد بن حسن بن عثمان : المرشد الوافي في العروض والقوافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص98.

[9] - مفدي زكريا : اللهب المقدس، ص17.

[10] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص18.

[11] مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص22.

[12] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص18.

[13] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص22.

[14] - مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، 1984، ص181.

[15] - القرآن الكريم: النساء157.
[16] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص17.
[17] - مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص20.
[18] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص23.
[19] - مفدي زكريا: اللهب المقدس، ص23.